الجواسيس وسماسرة الاراضي ، فاغتالوا كثيرين كان في مقدمتهم الضابط حليم بسطه مدير القلم السياسي في شرطة حيفا ، وكانوا قد هاجموه في المرة الاولى واطلقوا عليه الرصاص فجرحوه ، فهاجموه بعد ذلك في رابعة النهار ، ورموه سبع عشرة رصاصة استقرت في جسده ، ولم يبرحوا المكان حتى تركوه جثة هامدة ، ثم انصرفوا دون أن يتعرض لهم احد او تعرف اسماؤهم(٥٨).

وكان لاستشهاد الشيخ القسام وتلاميذه وللرصاصات التي أطلقوها صداها الطيب في نفوس عرب فلسطين ، فأيقظتهم من غفلتهم ، وأفهمتهم أن لسان القوة هو اللسان الوحيد الذي يجب أن تخاطب به السلطة المنتدبة، وان لغة الرصاص هي اللغة الوحيدة التي تفهمها(٥٩). وبرهن القسام على ان الكفاح المسلح والايمان الوطني الصحيح هما الطريق لمقاومة المستعمر البريطاني والحركة الصهيونية ، فاستيقظت فلسطين على استشهاده.ورغم أن المعركة لم تأخذ وقتا طويلا،لكن أثرها كان من حيث الروح لا المقدار، ومن حيث الكيف لا الكم. فقد دل القسام الجماهير على الطريق رغم ادراكه لقوة بريطانيا، وقاتل السلطة بعدد قليل من الرجال ليحيي في النفوس روح الثورية(٦٠).وخرج بنفسه في اول معركة ليضرب المثل للجماهير ، ويعلم الثوار كيف تكون القدوة الحسنة والنموذج الصالح . وكان ما فعله القسام ابلغ رد على سياسة زعماء فلسطين التقليديين ، فلقد ثقف ونظم وقاتل حتى مات شهيدا ، غير آبه لجاه او زعامة ، وكانت سيرته مثلا للكفاح والفداء ، وكان المنهج الذي نهجه يخيف الزعامات ، لانه لا يكشفها فقط ، بل يهددها بفقدان زعامتها ، لهذا فان الزعامات حرصت على عدم الاستفادة من الجو المتوتر الذي تولد عن بدء المقاومة ، كما ان الزعماء لم يحضروا جنازة القسام ، على الرغم من أن اكرم زعيتر — من رجال حزب الاستقلال — دعا الزعماء الى الاشتراك في تشييع الجنازة ، وكانت البرقيات التي أرسلوها باهتة باردة ، ولم يكتفوا بهذا، بل انهم اجتمعوا بالمندوب السامي قبل ان يمضي اسبوع على وفاة القسام ، وقدموا له مذكرة حددوا فيها مطالب البلاد واعطوه مهلة شهر للاجابة عليها(٦١).

وبذلك يكون الشيخ القسام اول من عمل عملا مركزا للثورة ، وزرع بذور الحقد على الاستعمار البريطاني في فلسطين ، وترك عشرات من رجاله يقومون بالدور البارز في الثورة التي اندلعت في فلسطين خلال الاضراب الذي بدأ في فلسطين في النصف الثاني من ابريل ١٩٣٦(٦٢). والذي كان هذا الحادث من حوافزها النفسية القوية(٦٣). حتى أن بعض المراجع العربية تعتبر أن ثورة ١٩٣٦ قد بدأت يوم خرجت حيفا بشيوخها وشبابها ونسائها تضطرب في موجة حزن ، حاملة اعلامها ورياتها مودعة الشيخ القسام وصحبه الشهداء(٦٤). واعتبر مصدر آخر هذا الحدث مقدمة لثورة ١٩٣٦(٦٥).

وقد أزعج القسام السلطة المنتدبة حتى بعد موته ، فقد استدعى مدير المطبوعات أصحاب الصحف ورؤساء تحريرها ، وحظر عليهم كتابة شيء عن القسام وهدد بمحاكمتهم وتعطيل صحفهم ، لكن السلطة سرعان ما رأت روح القسام تنتشر في الشعب كله خلال الاضراب الكبير الذي حدث بعد استشهاد القسام بعدة أشهر والذي دام ستة أشهر كاملة .

وقد تابع رجال القسام رسالة قائدهم حتى قبيل اضطرابات ١٩٣٦ ، ففي اليوم الثاني من استشهاد الشيخ القسام خرج الشيخ فرحان السعدي احد مريديه مع جماعة من الانصار الى جبال صفد ورابط هناك(٦٦).وفي الخامس عشر من ابريل١٩٣٦ قامت جماعة من اخوان القسام بقيادة الشيخ فرحان السعدي والسيد محمود ديراوي بالهجوم المسلح على السيارات الصهيونية بطريق نابلس — طولكرم ، وقتلوا ثلاثة منهم وجرحوا اخرين، واختفوا عن الانظار ليعيدوا الكرة من جديد ، واخذت الجماهير تفكر في الثورة المسلحة، وبدا اخوان القسام من العلماء ، يحرضون الشعب على القتال ، وكان للعالم الشيخ